Issn:2437-0967 مجلة اللغة الوظيفية
المجلد11،العدد1
2024

علاقة التعليم الجامعي بأطوار التعليم العام وسؤال الإنقطاع والإستمرارية

The relationship of university education to the stages of general education and the question of interruption and continuity

د/ليلى حمراني* (1)
جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف،(الجزائر)
l .hamrani@univ-chlef.dz

تاريخ الإرسال:2024/04/18	تاريخ القبول:2024/06/27	تاريخ النشر:2024/06/30

الملخص

يعمد هذا البحث إلى تقصي جوانب التعليم بشكل عام، والتعليم العالي بشكل خاص، لأهميته في الإصلاحات التي قامت بها الجامعة الجزائرية، فيما يخص الدرس الجامعي، دون أن نتجاهل الأهمية الكبيرة التي يلعبها الطور الثانوي في تكوين شخصية الطالب المستقبلي، وفي منحه نظرة مسبقة، تمهد له الطريق في التعامل بشكل جدي، وبكل سهولة مع الدرس الجامعي.

الكلمات المفتاحية : العلم، التعلم، التعليم، التعليم العام، التعليم العالي.

Abstract :

This research aims to study certain aspects of public education and higher education in particular, due to its importance in the reforms undertaken by the Algerian university. With regard to university education, without ignoring the great importance that the secondary stage plays in shaping the personality of the future student and giving him a vision of the future, paving the way for him to approach the university stage with seriousness and ease.

Key Words : science, learning, education, general education, higher education.

* د/ليلى حمراني.

مقدمة :

التعليم مهم للإنسان فبفضله يتمكن هذا الأخير، من إدراك ما يريده ويحتاجه الآخر. ويهدف التعليم إلى تنظيم المادة التعليمية، بغرض إحداث التعلم، وتطوير قدرات المتعلم. فبالعلم تبنى الأمم وتتطور، والدول الغربية خير مثال على ذلك، لذا اعتنت هذه الأخيرة بالتعليم وركزت عليه، وبذلت الموارد المالية والبشرية من أجل النهوض والارتقاء به، لأن التعليم يمنحنا مجتمع متحضر ومنظم، يساهم في الأمن الاقتصادي والاجتماعي والثقافي للمجتمع.

على هذا الأساس يمكن أن نعتبر المدرسة أهم لبنة في المجتمع بعد الأسرة، لأنها ترسخ الأخلاق والمبادئ الدينية التي يتلقاها الطفل في منزله وتقوم بتعميقها، فتنتج لنا فردا سويا وغير عدواني (فمثلا لو قامت المؤسسات التعليمية بواجبها إلى جانب الأسرة لما تعرض المجتمع الجزائري في التسعينات إلى كل ذلك العنف فيما اصطلح عليه بالإرهاب، فهذه الظاهرة الخطيرة ليست طفرة في المجتمع الجزائري ولكنها جاءت جراء ما تعرض له الشخص منذ طفولته، وما زرع فيه منذ طفولته الأولى)

لذا تلعب المدرسة الدور الفعال في بناء شخصية الفرد، وتهيئته لما سيأتي من أحداث في حياته، ف المدرسة هي التي ستخرج الإطارات التي ستبني المجتمع، وتنهض بالوطن في كافة مؤسساته، وقد لعبت المدارس القرآنية الجزائرية أثناء الاستعمار الدور المهم في تنمية النشء، وزرع تعاليم الدين الإسلامي الت ي عكف المستعمر على محوها وتشويهها، وقد سخر كل وسائل الترهيب والتغريب، في محاولة منه لإ تاج نسخة فرنسية مشوهة، وقد قيض الله عز وجل لمهمة حماية الدين الإسلامي واللغة العربية من الضيا ع والاندثار أنداك، خيرة ما أنجبته الجزائر من معلمين وفقهاء وعلماء، قطعوا الطريق عن المستعمر وأح الوا دون ذلك، وأدت المدرسة الجزائرية مهمة الحفاظ على مبادئ الوطن على أكمل وجه.

حيث تعد الثانوية كمرحلة نهائية في التعليم العام مرحلة جد مهمة للتلميذ، ففي هذه المرحلة يبرز إ هتمام التلميذ وتوجهه المعرفي والقدرات التي يزخر بها، و يتفتق الإبداع لدى التلميذ فيبرز الشعراء والأدبا ء والفلاسفة والنقاد وغيرهم، وإن دل على شيء إنما يدل على المجهود الذي بذله المعلم في تكوين تلاميذه في هذه المرحلة المهمة، من أجل استقبال مرحلة التعليم الجامعي التي يجب أن تعد لها العدة من أجل ال ظفر بها.

ولقد تعرضت منظومة التربية التعليم في الجزائر، إلى العديد من التغيرات، من الطور الأول إلى الطور النهائي، وذلك عبر مراحل مختلفة، منذ الإستقلال إلى يومنا هذا، بهدف تطويره لكي يلتحق بركب الدول المتقدمة، وانعكس ذلك على القدرات الفكرية للمتعلم، بالإضافة إلى التغيرات التي تزحف نحو التعليم العالي تدريجيا.

وعلى هذا الأساس يتبادر السؤال الآتي: هل العلاقة بين التعليم الجامعي والتعليم العام، علاقة قطيعة أم إستمرارية؟ وما هي وسائل التلقين في التعليم العام؟ وهل هي نفسها المستعملة في التلقين الجامعي؟

لقد حاولنا الإجابة عن هذا السؤال من خلال هذا المقال الموسوم ب : " **علاقة التعليم الجامعي بأطوار التعليم العام وسؤال الإنقطاع والإستمرارية** " ، وقد تناولنا هذه الأسئلة كالآتي :

أ)قراءة مفاهيمية لمصطلح التعليم لغة واصطلاحا

1) التعلم لغة

2) التعلم اصطلاحا

ب) العلاقة بين التعليم العام والتعليم الجامعي :

1) التعليم العام

2) – وسائل التعليم العام

3) التعليم العالي

4) وسائل التعليم العالي

حاولنا من خلال هذا المقال، الإلمام بمفهوم التعليم العام والتعليم العالي، باعتبارهما حلقتان متواصلتان، ولمّ كان الأمر كذلك، فما مدى التكامل بين مرحلة التعليم العام ومرحلة التعليم العالي؟

ونهدف من خلال هذا المقال إلى عرض حالتي التعليم في وسطنا الاجتماعي، ومحاولة الإجابة عن سؤال التواصل والقطيعة.

ذيلنا هذا المقال بجملة من النتائج، التي يمكن استثمارها في ميدان التعليم، وفتحنا الأفق أمام الباحثين للبحث في هذا المضمار.

1) مفهوم التعليم لغة واصطلاحا :

لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نحصر مصطلح التعليم في مفهوم واحد فقط، بسبب التضارب الحاصل في تحديد دلالته من طرف المختصين، إذ انطلق كل واحد من منظوره وتجربته الشخصية، في تعريف هذا المصطلح، إلاّ أنّ هذا لا يمنع من الإلمام ببعض جوانبه في اللغة والاصطلاح .

أ) التعليم لغة : "هي لفظة مشتقة من لفظة : (عَلِمَ) العين واللام والميم أصلٌ صحيح، واحد يدل على أثر بالشيء، يتميز به غيره، وتعلمت الشيء إذا أخذت علمه." [1]

أما ابن منظور فيرى بأن التعلم : " والعلم نقيض الجهل، علم علما، علُمَ هو نفسه، ورجلٌ عالمٌ وعليمٌ من قومٍ علماءُ فيها جميعا" [2].

فكل من العلم والتعلم مصطلحات أُريد بها الوسْمُ : " ... ومعلم الطريق : دلالته، وكذلك معلم الدين على المثل، ...وكله راجع إلى الوسم والعِلم... والمعلم : الأثر يُستَدَلُّ به على الطريق وجمعه المعالم." [3]
يعني التعلم الأخذ، والأثراء، فهو النور الذي يهدي الساري في الليالي الداجيات.

ب) التعليم اصطلاحا : يؤكد القرآن الكريم أهمية العلم وفضله على الإنسان، فرفع الله العلماء درجات، وفرق بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون، ومنح لكل واحد منهما مكانته الخاصة.

لقد أمر سيدنا جبريل عليه السلام نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم أن يقرأ، تمجيدا للعلم والعلماء، فكان أول ما ينزل من كتاب الله الحكيم جلّ في علاه، من السماء إلى الأرض، وعلى قلب نبينا الكريم ﷺ قوله عز وجل : **بِسْـــمِ:﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(1) خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) إِقْرَأْ وَ رَبُّكَ الأَكْرَمِ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5) ﴾** [4]

تقر سورة العلق على أهمية العلم والتعلم بالنسبة للإنسان، وتشهد بعظمة الله ﷻ، الذي علّم الإنسان ما لم يعلم، وعلّم سيدنا آدم الأسماء كلّها، في قوله جلّ جلاله وتقدّست أسماؤه :﴿ **و عَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِؤُنِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ (32) ﴾** [5]

تركز هذه الآية العظيمة على أنّ المعلِّم هو الله جلَّ في علاه، وأنّه جلّ جلاله حرص على تلقين الإنسان كل المعارف والعلوم، التي نعلمها والتي لا نعلمها.

كما أكّدت هذه الآيات على أنّ فوق كلِّ ذي عِلمٍ عَلِيم، فالله هو الأعلم، والعلم هو صفة من صفاته ﷻ : العليم والعالم والعلام، قال الله عزّ وجلّ :﴿ **وهو الخَلّاقُ العَلِيمُ** ﴾، وقال : ﴿ **عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ** ﴾، وقال : ﴿ **عَلّامُ الغُيُوبِ** ﴾، فهو الله العالم بما كان وما يكون قبل كونه، وبما يكون لما يكن بعد بعدُ قبل أن يكون، لم يزل عالما، ولا يزال عالما بما كان وما يكون، ولا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، سبحانه وتعالى، أحاط علمه بجميع الأشياء باطنها وظاهرها، دقيقها وجليلها، على أتمّ الإمكان.[6]

يرى مصطفى ناصف أنّ التعلُّم هو :" ... أمر مألوف في حياتنا الإعتيادية ولكن تعريفه تعريفا علميا بغية الوصول إلى فهم حقيقي لماهيته يظل مسألة مثيرة للجدل. وقلما نجد من الخبراء من يتفق مع غيره وذلك بسبب التعريفات واختلاف النظريات."[7]

خُلق الإنسان نزاعا إلى الكمال والمثالية، ما دفعه إلى التعلم باستمرار من أجل بلوغه هذا الهدف السامي.

قد يتعذر على الباحثين حصر مفهوم التعليم في تعريف واحد فقط، وهذا لأن كل واحد منهم عرفه انطلاقا من منظوره وتجربته الشخصية، لكن يمكن أن حيط ببعض جوانبه، على حد تعبير "آرثر

جيتس" : " التعليم تغير في السلوك، وتغير يحدث في الخبرات السابقة، فيضيف عليها أشياء، أو يعدل بعضها حتى يتحسن سلوك الإنسان." [8]

يظل الإنسان عاكفا على تحقيق أهدافه، من خلال تعلم سلوكات ومهارات أخرى، إلاّ أنّ هذا لا يعني أنّ : "التعليم يقتصر على إكتساب مهارات وعدد من الإستجابات المنفصلة عن بعضها، وإنما يتعلم ليتغير سلوكه، حتى ذهب بعض السلوكيين إلى تعريف التعليم بأنه تغيير في نظام السلوك. "[9]

يعتبر محمد وطاس أن التعليم هو تغيير : " شبه دائم في إمكانية السلوك ينبع عن الممارسة المعززة، زهذا التعريف ينظر إلى كون التعليم عملية تغير في السلوك. أي أنّ أداء الكائن الحي لعمل ما، كان على صورة ثم تغير هذا الأداء، وذلك باكتساب تغير إستجابة جديدة لم تكن مكتسبة من قبل أن تتم عملية التعلم هذه، ثم أن هذا التعلم ليس بالمؤقت وإنما هو شبه دائم ..." [10]

فالتغير الدائم هو ذلك التغير الحاصل في السلوكات، مثل : الحزن أو الفرح، الضحك أو البكاء، وهي كلها سلوكات تزول بزوال الدوافع التي أدت إليها.

أما التغيير الحاصل بالتعلم فهو شبه دائم خاضع للتغيرات الحاصلة في المجتمع، وفي حياة الفرد، فالتغيير هو حدث :" يزيد من دائرة النشاط لدى الفرد، ويوسع فهمه وتصوراته، وتجعله يكتسب مهارات جديدة، أو يبدل الفاسد منها بالصالح، عن طريق عملية التعلم، وعن طريق الممارسة المباشرة لأنواع من السلوك، يراها مناسبة لبعض مواقفه التعليمية." [11]

فالتعليم هو عملية مهمة في حياة الفرد، توسع مجال اتصاله بالأفراد وتمنحه فرصة الأخذ، فيحدث بذلك التغير والتطور في سلوك الإنسان، لاكتسابه معارف وسلوكات جديدة، تجعله يواكب العصر ويصل إلى الذروة. فما يبديه : "الطفل من حركات هادفة، بعد محاولات خاطئة، تجعله يغير من أنواع السلوك، وهو أيضا تحسين في سلوك الفرد، ويكون سببا في تقدمه، كما أن التعلم يعني كل سلوك مؤداه نحو الفرد وتكوينه، وتحسين خبراته السابقة، واكتسابه لخبرات جديدة تساعد على أن يتكيف والبيئة التي يعيش فيها، ويتعامل مع أفراد الجماعة التي هو جزء منها"[12]

وينقسم التعليم في نظر العلماء، إلى تعاريف واقعية وأخرى نظرية، تُرجع الواقعية عملية التعلم إلى الظواهر المرئية في العالم المادي، أي هو يقوم على الملاحظة العينية لهذه الأحداث. أما النظرية فهي متصلة بطبيعة التعلم من الناحية العضوية والفيزيولوجية، فالتعلم هو عملية تعديل للإستجابات الغريزية أو الإنعكاسات كما يراها "فراتزان"[13]

التعليم إذن هو الأخذ والإضافة إلى البديهيات، وهو التغير الحادث في سلوك الإنسان في كل مرحلة من المراحل، فالطفل يتعلم بداية الرضاعة، ثم كيف يأكل، وكيف يحبو ثم كيف يمشي، وكيف ينطق، ويتكلم ويعبر ويكتب وبجادل...

يأتي كل هذا عبر مراحل زمنية متراكمة، فيكون تعليمه بداية غريزي، مثل الأكل والشرب...يكتسي صفة الآنية، في حين يوجد تعليم آخر اتصف بالديمومة والإستمرارية.

وعلى هذا الأساس يمكن أن نقول بأن لتعليم هو اكتساب معارف وخبرات جديدة، تمنح الإنسان فرصة التواصل مع الآخرين، ومواكبة الركب الحضاري.

2) التعليم العام والتعليم العالي :

أ) التعليم العام :" التعليم ببساطة هو تمكين الطالب من التعلم، ومن الفهم والأخذ قدر المستطاع، فغاية : التدريس بسيطة، هي جعل تعلُّم الطلبة أمراً ممكناً."[14]

ذلك أنّ التعليم العام إرشادي النزعة، يقوم على : " الإرشاد الفردي وإرشاد المجموعات الصغيرة، والمجموعات الكبيرة والإستشارة والتنسيق..."[15]

حيث يرتكز التعليم العام على دور المعلم، الذي عليه أن يتقن كل الأدوار، فهو الطبيب النفسي، والمعالج والمربي والمساهم في حل مشاكل التلاميذ، فالتعليم العام من هذا المنطلق :" هو عملية يتم فيها بذل الجهد من قبل المعلم ليتفاعل مع طلابه ويقدم علما مثمرا وفعالا من خلال تفاعل مباشر بينه وبين الطلاب."[16]

يواصل محسن علي عطية تعريفه للتعليم، فيرى بأنه بمكن أن يحدث : " داخل المؤسسة التعليمية أو خارجها، وهو عملية شاملة، فيشتمل على المهارات، والمعارف، والخبرات : كالسباحة وقيادة السيارات، والحساب، والكيمياء، والشجاعة، والأخلاق، وما إلى ذلك، كما يطلق مصطلح التعليم على كل عملية تتضمن تعليم الأفراد".[17]

نرى أن التعليم العام هو مرحلة جد مهمة في حياة الطالب العلمية، باعتبارها المرحلة التي تهيئه، للمرور إلى المراحل الأكثر إتساعا وتعمقا.

ب/ وسائل التعليم العام : 1/ يعتمد الطالب في التعليم العام، إعتمادا كليا على المعلم في الشرح والإملاء، والقيام بتمارين تجعله يهضم المادة المقدمة له، وبذلك يساهم المدرس بحوالي 70 أو 80 بالمئة من المعلومات التي يأخذها الطالب، **فالإدراك والتكرار** هي من العوامل المساعدة على الفهم الجيد للدروس عند الطالب.

بالإضافة إلى **الكتابة والتقويم**، ولعل الكتابة هي آخر شيء يقوم به الطالب، بعد الاستماع إلى شرح الأستاذ، حفاظا على تركيز هذا الأخير مع الدرس، ويلعب المعلم في التقويم دورا هاما في معرفة مدى فهم الطلبة للدرس، عن طريق طرح الأسئلة وتكليفهم بالإجابة، فيعرف المعلم درجة إستيعاب التلميذ للدرس أو العكس، وهنا تبرز خبرة المعلم في وظيفته.

2/ من وسائل التعليم كذلك **الخبرة المبسطة أو المعدلة** : وتعتمد هذه الوسيلة على تقريب بعض الحقائق إلى الطالب، عن طريق النماذج والعينات، كأن يحضر الأستاذ جزء من الطبيعة أو البيئة، كعينة من معدن أو نبات، أو حيوان... وهذه العينات كثيرا ما تتعلق بالموضوع أو الدرس.

أما النموذج فهو تلك الأجسام التي تحاكي الصورة الحقيقية للشيء، مثلا المهندس يقوم بصناعة نموذج مصغر من مدينة عمرانية، أو جامعة أو سد من السدود، هي نفسها التي يوظفها المعلم لتقريب المفهوم للتلميذ، ويبقى الاختلاف بين هذه المجسمات والواقع في تفاصيل محددة، كالحجم والطول...

3/ **التمثيليات** : وهي المتمثلة في محاكاة الشخصيات التاريخية، في طريقة كلامها ،وفي لغتها، وفي لباسها، أماكن تواجدها، وفي طرق حياتها، والأدوات المستعملة، وهو ما نجده في المسلسلات التاريخية، التي تعرض على شاشات التلفزيون، والتمثيل هو بديل للواقع وللخبرات المبسطة كالنماذج وغيرها، غير أنه يختلف عنها في كونه لا يشتمل على الواقع في كثير من المواقف، كالشكل الظاهري للواقع الأصلي[18].

ما يساعد المعلم على تقليد ومحاكاة بعض المواضيع المعنوية : كالوفاء، الإخلاص، التعاون، والأمانة، والتحذير من الأشياء الخطيرة : كلمس أسلاك الكهرباء، المآخذ، حوادث السير، أو شرح عملية الإسعاف...[19]

ومن وسائل التعليم كذلك : استخدام الوسائل التوضيحية، ولعل أهمها هي : الصبورة حيث يسجل عليها المعلم أهم العناصر التي يتناولها في درسه، بالإضافة إلى الرحلات والزيارات الميدانية إلى أحضان الطبيعة ، أو زيارة مصنع من المصانع، المعارض، المتاحف، حيث يتمكن التلميذ من التعرف على الجوانب الأثرية ك : النقود والوسائل التاريخية للحياة،... كمتحف ولاية الشلف، متحف مقام الشهيد، متحف الهواء الطلق جميلة...

يمكن للتلفزيون المدرسي أن يساهم في تعليم التلميذ وتلقينه، من خلال استخدامه لبرامج تعليمية للتلاميذ، كحصة : بين الثانويات مثلا... الرسوم البيانية والخرائط...

تعتبر هذه الوسائل عوامل فعالة، في ترسيخ ودعم الحقائق العلمية لدى التلميذ، والمساهمة في فهم العالم الخارجي وإدراك ما حوله، والتخطيط لحياة مستقبلية حافلة بالنجاحات.

ولا شك أننا مررنا بكل هذه الطرق المستعملة جميعا، في الأطوار الثلاث من مرحلة التعليم العام، بالإضافة إلى تلك التمرينات التي كان التلميذ يُكلف بها، وهي على شكل تطبيقات والتواجد كثيرا في ميدان الرياضيات، وقواعد النحو والصرف، وقواعد اللغة الفرنسية والإنجليزية، واستعمال الصبورة كوسيلة توصيحية، والصور والمخططات البيانية والخرائط في الجغرافيا، وشرح التاريخ بطريقة سردية تمكن التلميذ من الاستيعاب، وتعزيز ذلك الشرح بتمثيل تلك الأحداث التاريخية، وضبطها بالتواريخ، فضلا عن التجارب العلمية...

تبقى المرحلة الثانوية أكثر أهمية، باعتبارها الجسر الرابط بين التعليم الثانوي والتعليم الجامعي. فعلى الرغم من الإختلاف الملحوظ بين المرحلتين، إلاّ أنهما متكاملتان في نظري، لأن مرحلة التعليم العام، تمهد الطالب لمَا سيأتي في المرحلة الجامعية، لكن الوسائل المعتمدة في التعليم العام، تختلف نوعا ما عن الوسائل المستعملة في التعليم العالي.

2) التعليم العالي :

أ) نشأة التعليم العالي (الجامعة): تعد جامعة مصر القديمة أقدم جامعة في التاريخ، وتمثلت في الأديرة الكبيرة لدراسة العلوم الدينية، الرياضيات، الفلك، الطب، القانون، الهندسة، النحت والرسم، وكانت من أشهر الجامعات في مصر آنذاك : جامعة "أون" في عين شمس، ومن أشهر الأديرة " الكرنك وتل العمارنة".[20]

ارتبطت نشأة التعليم العالي باكتشاف الكتابة مع السومريين الذين عاشوا في وادي دجلة والفرات، قد أوجدوا نظاما للكتابة حوالي سنة 3500 ق.م، وكذلك طور المصريون نظاما للكتابة حوالي سنة 3000 ق.م ، وقد تضمن النظامان على أساليب لكتابة الحروف والأرقام، وكان المعلمون قبل اكتشاف الكتابة يكررون الدروس شفهيا فيقوم الطلبة بحفظ ما سمعوه، وكان معظم المعلمين عند السومريين والمصريين من كهنة المعبد، أما الطلبة فكانوا قلة من أبناء الطبقات العليا. [21]

اما لفظة " الجامعة" **Universitas** فلم تكتسب المدلول المتعارف عليه حاليا، إلا مع نهايات القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر، وكانت هذه اللفظة تستعمل : في أوروبا في العصور الوسطى في أغراض متعددة بعيدة عن معناه الأصلي،...فلفظ جامعة لا يعني في مبدأ الأمر أكثر من رابطة أو اتحاد بين عدة أفراد، ولذا أطلق هذا اللفظ في العصور الوسطى على كثير من نقابات التجار والصناع، فضلا عن بلديات المدن، غير أن لفظ الجامعة تحور عند نهاية القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر.[22]

تحور مصطلح الجامعة مع بداية القرن الثالث عشر، حيث أصبح يطلق :"على اتحادات المشتغلين بالعلم والتعليم من الطلاب والأساتذة، وبذلك بدأنا نسمع في البيئات الجامعية عن " جامعة الطلبة" بمعنى اتحاد الطلبة، و"جامعة الأساتذة" بمعنى اتحاد الأساتذة، فالجامعة لم يقصد بها في ذلك العصر المكان أو البيئة العلمية التي يلتقي فيها رجال العلم من معلمين ومتعلمين، وإنما قصد بها الاتحاد الذي يكونه كل فريق من هذين الفريقين لرعاية مصالحه وتنظيم أموره."[23]

لقد عرف هذا المصطلح في أوروبا في العصور الوسطى، تحت مسمى المدرسة العامة **Studium General** ، وعندما أصبح لفظ المدرسة العامة– الذي يعبر عن الجامعة في معناها الحديث– شائعا في مستهل القرن الثالث عشر، غدت له ثلاث خصائص مميزة :" أولاها أن هذا المكان أو المدرسة صارت تستقبل طلاب العلم الوافدين من جميع الجهات والبلاد لا من جهة معيتة أو بلد محدد، وثانيتها أنها كانت مركزا للدراسات العليا، بمعنى أنها اشتهرت بتدريس علم على الأقل من العلوم التي تتطلب دراستها قسطا من التخصص مثل القانون أو اللاهوت أو الفلسفة أو الطب أو غيرها، وثالثتها أن هذه العلوم قام بتدريسها بعض الأساتذة ذات الكفاءة المتخصصين".[24]

لقد أنشأت الصين أول جامعة سنة (124 ق.م)، كما ظهرت الجامعة في بلاد اليونان والرومان والسريان والصابئة في الشرق، وبلاد الفرس[25] ، تطورت الجامعة عبر العصور، إلى أن وصلت إلى الجامعة المعاصرة، بكلياتها وأقسامها وطلبتها وقوانينها وعمالها...

وظهر الكيان الجامعي، المتعارف عليه حاليا، بأوكسفورد سنة 1167، بالإضافة إلى جامعة باريس بفرنسا سنة 1200 ، واشتهرت بالدراسات القانونية، وجامعة (بولونيا سنة 1214)،وهي مشهورة بالدراسات القانونية أيضا، جامعة (سالرنو سنة 1231)، وقد اشتهرت بالدراسات الطبية، ثم عممت الجامعة على كامل التراب الأوروبي، فظهرت في كل مدينة جامعة، مثل جامعة (تولوز سنة 1229)، جامعة سالمانكا بإسبانيا عام 1220 ، جامعة (براغ بألمانيا سنة 1947)...[26]

وتتالت عملية إنشاء الجامعات في كافة الدول الأوروبية، بعد هجرة الطلبة من بولونيا وفرنسا إلى إيطاليا، إسبانيا، البرتغال، اسكتلندا وغيرها.

أما الولادة الفعلية للجامعة الحديثة، فقد كان من : اسكتلندا في القرن 18 ، ومن ألمانيا في القرن 19 ، كل واحدة منهما وصلت إلى نفس النتيجة (كل واحدة على حدة) : التخصص، أستاذ متخصص في موضوع واحد يعوض الأستاذ الذي يدرس جميع المقررات، حيث عرفت اسكتلندا فروع، وتخصصات وأقسام جديدة.[27]

إذاً ظهرت الجامعة بمفهومها الحديث والفعلي باسكتلاندا، وانتشرت بعد ذلك إلى كل أسقاع العالم، وتزخر الجزائر بخيرة الجامعات في المغرب العربي، وهي تعمل جاهدا للوصول إلى الدرجات العلى، ومنافسة الجامعات العالمية، وخاصة مع ما تلقته الجامعة الجزائرية من عصرنة وتطور في كافة الميادين، لاسيما ميدان الرقمنة والتكنولوجيا.

ب/ وسائل التعليم العالي :

إذا كان الإدراك والتكرار من العوامل المساعدة على الفهم الجيد للطالب، فإن الدرس الجامعي يعتمد على :" البحث والتحليل والتوصل إلى تحقيق الأهداف بالطرق العلمية، إذا فالتعليم العالي يهتم بتعليم الطالب على الإنتاج الشخصي كالتأليف وكتابة البحوث ليصبح في المستقبل قادرا على الإنتاج في ميادين مختلفة." [28]

والدارس للفظة "محاضرة" يجد أنها منبثقة من فعل "القراءة" Lecture ويقوم الأستاذ بقراءة المخطوطات اليدوية القديمة باللغة اللاتينية.[29]

فالدرس الجامعي يختلف عن الدرس الثانوي، إذ يعتمد هذا الأخير على الطرق التعليمية المرتكزة على الشرح والإيضاح والكتابة على الصبورة وتكليف الطلبة بواجبات منزلية توطّد وترسخ تلك المعلومات الملقنة، مما صعب مهمة الطالب الذي التحق بالجامعة حديثا، إذ يجد صعوبة في استقبال درس الأستاذ الذي يعتمد على الشرح والتوجيه فقط، ومناقشة الموضوعات، في حين يترك فرصة البحث والتعمق للطالب، فإذا كانت المرحلة الأولى هي مرحلة تلقينية، فإن المرحلة الجامعية هي مرحلة توجيهية، فالتعليم العالي هو :" عملية فكرية منظمة يقوم بها الباحث من أجل تقصي الحقائق بشأن مسألة أو مشكلة معينة (موضوع البحث) باتباع طريقة علمية منظمة (نتاج البحث) بغية الوصول إلى حلول ملائمة للعلاج وإلى نتائج صالحة للتعميم على المشاكل المماثلة (نتائج البحث)."[30]

وهو كل أنواع الدراسات، التكوين أو التكنولوجية التي تتم بعد المرحلة الثانوية على مستوى مؤسسات جامعية أو مؤسسات تعليمية أخرى معترف بها كمؤسسات للتعليم العالي من قبل السلطات الرسمية للدولة[31]

يعتمد الدرس في التعليم العام على الأستاذ بشكل كبير، أما الدرس الجامعي فيعتمد على الطالب أكثر، ويمنح لهذا الأخير فرصة البحث والإستقصاء في أطراف الدرس الجامعي، حيث لا يكتفي الأساتذة : "بتلقين طلابهم مجموعة من المعلومات المعروفة سابقا في الكتب، أو مجرد نقل الخبرة الموجودة في البلاد الأجنبية، ولكنهم يتعاونون معهم على اكتشاف الطريق الأمثل لاستخدام تلك المعلومات وتمثيلها، وإعادة صياغتها وتطويرها، وفق معطيات الواقع الوطني. فعضو هيئة التدريس هو ذلك الذي يدرب طلابه

(على استخدام الأدوات العلمية، وليس الذي يتعلم بالنيابة عنهم، هو الذي يشترك مع طلابه في تحقيق نمو ذاتي يصل إلى أعماق الشخصية ويمتد إلى أسلوب الحياة)".[32]

تصبح عملية التعلم في الجامعة مشتركة بين الأستاذ والطالب، للخروج بأبحاث مثمرة تعود بالنفع على المجتمع والوطن بصفة عامة.

فالتعليم العالي حسب رأينا هو مواصلة ما توقف عنده الطالب في المرحلة الأخيرة من التعليم العام "الثانوي"، فعلى الرغم من اختلاف الطورين، إلاّ أنّهما متكاملان، فإذا كان الطور العام تمهيدي، ويساعد على ترسيخ المعلومات عامة ، وبديهيات الحياة في ذهن التلميذ، فإن مهمة المرحلة الجامعية هي : تعميق تلك المعلومات التي أخذها الطالب في المرحلة السابقة، فإذا كان الطالب يدرس قواعد النحو والصرف بشكل مبسط في الثانوية، فإن طالب الجامعة يتعمق في الدرس النحوي، ويتعرف على المدارس التي نظّرت للنحو...

حيث تكتسي المحاضرة طابع المناقشة بين الأستاذ المحاضر والطلبة، في إثراء نقطة معينة في عنصر من مقياس معين، وهناك من الأساتذة من يقوم بشرح المحاضرة أولا،ثم إلقائها على مسامع الطلبة والإملاء عليهم، وإن كانت هذه الطريقة غير ناجعة، إلاّ أنّها تساهم في تلقين الحفظ للطالب : القصائد، مقاطع من خطب، أقوال نقدية، قواعد الإعراب والعروض...

الخاتمة :

يتضح من خلال ما سلف أن التعليم الجامعي يشترك مع التعليم العام في تعريف مصطلح التعليم ، وهو : الأخذ، وتغيير بعض السلوكات واكتساب أخرى.

- التعليم هو إدراك الأمور وفهمها، ليتمكن الشخص من فهم ما حوله ويستطيع التواصل مع الغير.
- يلاعب المعلم في التعليم العام الدور الكبير، في عملية التلقين وتدريب الدارس، والتوضيح والتعيين والتمثيل والقراءة والتقييم.
- يركز التعليم العالي على الطالب، فهو الذي تقع على عاتقه مسؤولية التعلم، بحيث تقتصر مهمة الأستاذ على التوجيه فقط، وتزويد الطالب بالمفاتيح التي تساعده على التعمق في البحث.
- تختلف وسائل التعليم العام قليلا عن وسائل التعليم العالي، بحيث : تستعمل المعاينة المباشرة لعناصر البيئة، وتقوم على الإدراك والتكرار والإيضاح (الصبورة...) والتمارين ...
- أما التعليم العالي فوسائله تمنح للطالب، فرصة الإعتماد على قدراته الشخصية، في إنجاز بعض التجارب العلمية والخروج بالنتائج، ويتكفل الأستاذ بتوجيه الطالب نحو البحث...

– مجموع الطلبة العرب الذين يتقنون البحث العلمي، هو قليل بالمقارنة مع طلبة الدول الأوروبية، وهذا راجع لأسباب مادية...

– لا توجد قطيعة بين التعليم العالي والتعليم العام، بل هناك تكامل في الكثير من الأحيان ، فلولا وجود التعليم العام، لما كان هناك تعليم عال.

التوصيات : يلفت البحث عناية أفراد التعليم العام والتعليم العالي إلى مد روابط التواصل بين القطاعين، وإلى عقد ندوات علمية مشتركة بين القطاعين هدفها تعريف تلاميذ التعليم العام بالحرم الجامعي وهياكله ، وإلى محاولة تكييف البرنامج التعليمي في الطور الثانوي ومتطلبات الحياة العلمية الجامعية.

لقد حاولت الجامعة الجزائرية في فترة الكورونا، تطبيق التعليم عن بعد، أو ما يسمى بالجامعة الإفتر اضية بشكل جزئي، فهل نجحت الجامعة الجزائرية في ذلك؟ وهل يمكن أن تعتمد الجامعة الجزائرية هذا ال نمط الحديث من التعليم بصفة دائمة في المستقبل؟

وبذلك نكون قد فتحنا مجالا من مجالات البحث أمامنا وأمام غيرنا من الباحثين.

الهوامش :

1 أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا : مقاييس اللغة، تح : عبد السلام محمد هارون، ج4 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، دت، ص 109– 110.

2 ابن منظور : لسان العرب، تح : عبد الله علي، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، القاهرة، دار المعارف، دط، دت، ص 3084

3 المصدر نفسه، ابن منظور : لسان العرب، ص 3085

4 سورة العلق، الآيات : 1– 2 –3 – 4 – 5.

5 سورة البقرة، الآية : 31– 32

6 ينظر، ابن منظور: لسان العرب، ص 3082 – 3083.

7 محمد ناصف : نظريات التعلم – دراسة مقارنة، مراجعة : عطية محمود هنا، الكويت، عالم المعرفة، دط، 1983، ص 15.

8 آرثر جيتس : علم النفس التربوي، تر : إبراهيم حافظ وغيره، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط 5 ، 1966 ، ص 15.

9 المرجع نفسه، ص 44.

10 محمد وطاس: أهمية الوسائل التعليمية في عملية التعلم وفي تعليم اللغة العربية للأجانب خاصة، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، 1988، ص 20 – 21 .

11 المرجع نفسه، ص 21.

12 صالح عبد العزيز وغيره : التربية وطرق التدريس، ج3، القاهرة، دار المعارف بمصر، ط 5 ، 1969 ، ص 168

13 انظر، محمد فهمي العجيزي : محاضرات نظرية التعلم، دط، 1976 – 1977، ص 3

14 دبليو طوني بيتش، غاري بول : التعليم الفعال بالتكنولوجيا في مراحل التعليم العالي، تر : ابراهيم يحي الشهابي، مكتبة العبيكان، ط1 ، 2006 ، ص 74.

15 عطا الله فؤاد الخالدين، طلال سعد الدين العلمي : الإرشاد المدرسي والجامعي، النظرية والتخطيط، عمان، دار صنعاء للنشر والتوزيع، ط1 ، 2008 ، ص 29.

16 محسن علي عطية : المناهج الحديثة وطرق التدريس، المناهج للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2013، ص 260.

17 المرجع نفسه، ص 260

18 ينظر، فتح الباب عبد الحليم سيد وغيره : وسائل التعليم والإعلام، عالم الكتب، ط3، 1976، ص 111.

19 ينظر، محمد وطاس : أهمية الوسائل التعلمية في عملية التعليم عامة، ص 72 ، المرجع السابق.

20 ينظر، هشام يعقوب مريزق/ فاطمة طه حسين الفقيه :قضايا معاصرة في التعليم العالي، دار الراية للنشر والتوزيع، ط1، 2008، ص 12.

21 ينظر، نوال نمور : كفاءة أعضاء هيئة التدريس و أثرها على جودة التعليم العالي "دراسة حالة العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير"، جامهة منتوري قسنطينة، 2011 – 2012، ص 21.

22 ينظر، سعيد عبد الفتاح عاشور: جامعات الأوروبية في العصور الوسطى، القاهرة، دار الفكر العربي، دط، 2007 ، ص 4

23 المرجع نفسه، ص 3.

24 المرجع نفسه، ص 4.

25 ينظر، هشام يعقوب مريزق/ فاطمة طه حسين الفقيه :قضايا معاصرة في التعليم العالي، دار الراية للنشر والتوزيع، ط1، 2008، ص 12.

26 ينظر، المرجع نفسه،ص 22 – 23.

27 ينظر، نوال نمور : كفاءة أعضاء هيئة التدريس و أثرها على جودة التعليم العالي "دراسة حالة العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير"، جامهة منتوري قسنطينة، 2011 – 2012، ص 25.

28 المرجع السابق، هشام يعقوب مريزق : قضايا معاصرة في التعليم العالي، ص 23.

29 ينظر، المرجع السابق، دبليو طوني بيتش/ غاري بول، التعليم الفعال بالتكنولوجيا، ص 74.

30 العبادي هاشم فوزي :إدارة التعليم الجامعي، مفهوم حديث في الفكر الإداري المعاصر، الأردن، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، 2008 ص 554.

31 ينظر، الموسوعة العربية العالمية، ج7، الرياض، المملكة العربية السعودية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط2 ، 1999 ، ص 25 .

32 ينظر، المرجع السابق، نوال نمور : كفاءة أعضاء هيئة التدريس و أثرها على جودة التعليم العالي، ص56.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر، دار ابن الجوزي، القاهرة، 2009

المعاجم:

1 / أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا : مقاييس اللغة، تح : عبد السلام محمد هارون ج4 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، دت

2 / ابن منظور : لسان العرب، تح : عبد الله علي، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، دط، دت، القاهرة

3/ الموسوعة العربية العالمية، ج7 ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط2 ، 1999

المراجع بالعربية:

1/ صالح عبد العزيز وغيره : التربية وطرق التدريس، ج3،دار المعارف بمصر، القاهرة، ط 5 ، 1969

2/ عطا الله فؤاد الخالدين، طلال سعد الدين العلمي : الإرشاد المدرسي والجامعي، النظرية والتخطيط،دار صنعاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1 ، 2008

3 / عيد عبد الفتاح عاشور: جامعات الأوروبية في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، 2007

4/ هشام يعقوب مريزق/ فاطمة طه حسين الفقيه :قضايا معاصرة في التعليم العالي، دار الراية للنشر والتوزيع، ط1، 2008

5/ فتح الباب عبد الحليم سيد وغيره : وسائل التعليم والإعلام، عالم الكتب، ط3 ، 1976

6/ العبادي هاشم فوزي :إدارة التعليم الجامعي، مفهوم حديث في الفكر الإداري المعاصر، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، الأردن،2008

7/ محسن علي عطية : المناهج الحديثة وطرق التدريس ، المناهج للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1 ، 2013

8 / محمد فهمي العجيزي : محاضرات نظرية التعلم، دط، 1977 – 1976

9/ محمد ناصف : نظريات التعلم –دراسة مقارنة، مراجعة : عطية محمود هنا، عالم المعرفة، دط، الكويت، 1983

10/ محمد وطاس: أهمية الوسائل التعليمية في عملية التعلم وفي تعليم اللغة العربية للأجانب خاصة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1988

11 / نوال نمور : كفاءة أعضاء هيئة التدريس و أثرها على جودة التعليم العالي "دراسة حالة العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير"، جامهة منتوري قسنطينة، 2012 – 2011

12/ هشام يعقوب مريزق/ فاطمة طه حسين الفقيه :قضايا معاصرة في التعليم العالي، دار الراية للنشر والتوزيع، ط1، 2008

المراجع المترجمة:

1 / آرثر جيتس : علم النفس التربوي، تر : إبراهيم حافظ وغيره، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط 5 ، 1966

2/ دبليو طوني بيتش، غاري بول : التعليم الفعال بالتكنولوجيا في مراحل التعليم العالي، تر : ابراهيم يحي الشهابي، مكتبة العبيكان، ط1 ، 2006